المشرق

معبد سيّدة التعزية في تعنائل

لحضرة الاب اسكندر توران اليسوعي

اذا ركب المسافر قطار السكة الحديديّة من بيروت الى الشام وقطع حزون لبنان وبطونهُ فتجاوز آكام صوفر مارًّا بالاسراب المتوبة هنـاك لا يلبث ان يُشرف على مناظر فتّانة تأخذ بمجامع الابصار فيرى عيانًا عند الأُفق سلسلة الجبل الشرقي ينتصب في جنوبها جبل حرمون كأنهُ شيخ جليل يتمُّ بثلوجهِ الغرّاء وينطح بقرنهِ عنان السماء ثم يكشف نظرهُ شرقًا على رُبى متباينة العلوّ في وسطها بقايا مدينـة عاديّة اشتهرت قديمًا بمدينة الشمس وتُعرف اليوم ببعلبك فيها من الآثار الخطيرة ما تحيّر لهُ الالبـاب وحولها الحدائق الغنّاء ذات الاثمار الطيّبة . واذا انحدر بهِ القطار على منعطف لبنـان قرّت عينهُ بمشاهدة بطاح فسيحة تغطيها كل صباح الابخرة المتصاعدة من مجاريها المائيّة ألا وهي سهول البقاع الشهيرة بخصبها

البقاع عبارة عن وادٍ متّسع مرتعه بين سلسلتي لبنان والجبل الشرقيّ الموازي لهُ يمدُّهُ كلاهما بمياههِ المنصبّة على معاطفهِ فيرويهِ ويضفيهِ بالتلّات الطائلة . وقد عرف القدماء هذا الوادي فدعوهُ بسوريّة المجوّفة (Cœlésyrie) واشاروا الى عمرانهِ . ولعلّ خصبهُ بلغ في عهدهم من الغنى والثروة ما لم تعهد لهُ شبهاً الاجيال التابعة . فهناك كانت مدن زاهرة كبعلبك شمالًا والحجر او كلـيس لبنان جنوبًا . وهنـاك قامت مزارع القمح على ساق فيقتات منها الاهلون ويتار منها الرومان لعاصمة القياصرة حتى دُعيت سهول البقاع بأهراء رومية

ففي تلك الصحراء عند سفح جبال أمانة وصنّين في بقعة تُدعى تعنائل في معبد

مجاور لدير يسكنهُ الرهبان اليسوعيّون تُكرم صورة عجائبيَّة للعذراء مريم تُعرف بسيدة التعزية. وتاريخ هذه الصورة مرتبط بتاريخ الدير فنبدأ بذكر هذا ثم نردفهُ باخبار الصورة المقدَّسة فنقول:

كانت ارض تعنائل قبل خمسين سنةً ارضاً بورًا مُهملة لا تكاد مع خصبها تأتي بثمار. فلمَّا كانت السنة ١٨٦٠ ويرى في الشام ما يرى من الأحداث الفاجعة التي اختصت بالموت العدد العديد من نصارى لبنان وفي جملتهم خمسة من رهبان الجمعيَّة اليسوعية في زحلة ودير القمر توفَّر عدد اليتامى الذين لصقوا في الدقماء واصبحوا فريسة الفقر يتضوَّرون من الجوع. فقام الآباء اليسوعيين بهمَّتهم المألوفة وجمعوا من اولئك البائسين نحو الثمانمائة ففرَّقوهم على اديرتهم في بيروت وبكفيا ومعلَّقة زحلة ثم مدُّوا ايدي الاستطاء لكل المحسنين في فرنسة فنالوا من كرمهم ما سدَّ عوز المكوبين لمدَّة. ثم سعت الدولة الفرنسويَّة لدى الحكومة العثمانية وطلب تابوليون الثالث من الباب العالي تعويضات تُدفع لعموم المصابين بتلك الدواهي الدهياء. فكان من جملة ما نالتهُ فرنسة قطعة من الارض واسعة الافناء موقعها جنوبي طريق الشام القديمة وشمالي طريق العربات التي كانت شركة فرنسويَّة باشرت في فتحها. وكانت تلك الارض كما يشهد عليه الشيوخ تغمرها المياه المستقعة كثيرة الاوبئة والحميات الَّا انَّها كانت تستطيع ان تتحوَّل بالشغل والعناية الى املاك عامرة مخصبة. فتلك الارض سلَّمتها فرنسة الى الآباء اليسوعيين ليس بصفة مالك بل على سبيل التشجيع والاستثمار ليقوموا باعمالهم الخيريَّة وتربية اليتامى وتعويضاً عمَّا فقدوهُ بالنهب والحريق

فهناك حلَّ الآباء اليسوعيّون وباشروا باعمال الحراثة ليعيدوا لتلك الجهات شيئاً من رونقها القديم. وكانوا مع اجتهادهم في تحسين التربة يسعون ايضاً في خدمة اهل القرى المجاورة وارشادهم وتثويدهم بالاسرار المقدَّسة

وكانوا في اثناء الامر يدوّنون ما يعثرون عليه من التقاليد القديمة والآثار التاريخيَّة المبثوثة بخواص البقاع. وقد جمع فقيد العلم المرحوم الاب بارس مرتين في تاريخ لبنان كثيرًا من التقاليد الراقية الى عهد البشر الاوَّلين فمن ذلك زعمُ العرب انَّ نوحاً بعد الطوفان سكن البقاع وغرس الكرمة ويحمادن مدفنهُ في الكرك قريباً من معلَّقة زحلة. وهذا التقليد قد ذكره في القرن الثالث عشر ياقوت في معجم البلدان (٤: ٢٦٢) فقال:

«الكرك قرية كبيرة قرب بعلبك بها قبر طويل يزعم اهل تلك النواحي انه قبر نوح عم». وقد روى سيّاح الفرنج مثل هذا القول في رحلهم (تاريخ لبنان ص ١٦٩—١٧٤). ومن المحتمل ان الكرمة نُصبت في هذه الجهات منذ سالف الازمنة وغابر القرون فزكا زرعُها ونمت واتت بتلك الخمر اللبنانيّة التي اطرأها غير مرّة الكتاب الكريم. وليست عناقيد العنب المنقوشة في جدران هيكل بعلبك سوى اشارة الى شيوع الكروم في جهات البقاع. وهكذا تأوّل بعض المستشرقين اسم «كساره» وهي ارضٌ على جانب سكّة الحديد بين المعلّقة وسعدنايل للآباء اليسوعيين فيها كروم تامية فاشتقّ هذا الاسم من الآرامية «صصنا» ومعناها الخصب والربيع دلالةً على ما كان فيها من مزارع الجنّة

ومما زاد الرهبان اليسوعيين رغبةً في سكنى البقاع انّ الانجيل الطاهر يشير الى مرور السيد المسيح في سهولها كما رجّح الامر حضرة الاب الفرد دوران في خطبة القاها سنة ١٩٠٨ في نادي كلّيّة القديس يوسف عن رحلة السيد المسيح الى فينيقية فاثبتها المشرق في بعض اعداده (١١: ٨١—٩٢) قال الخطيب (في الصفحة ٨٧): انّ السيد المسيح بعد مروره في تخوم صور وصيدا كما روى القديس مرقس (٧: ٣١) توجّه الى تخوم المدن العشر. فيتبادر الى الفهم انهُ لم يرجع القهقرى بل سار وتلامذتهُ تِرًا الى تلك الجهات وكانت اقرب طريق الى المدن العشر ان يجتاز لبنان فيقطع البقاع ماراً بطريق سهلة كانت تمتدُّ حول الجبل الشرقي الى بانياس او بالحري من جهة الشمال بطريق معتزلة كانت تمرُّ في راشيّا الى قطنة

فيسرُّنا نحن اهل تعنائل ان نتصوّر السيّد المسيح على موجب هذا الرأي منحدرًا من مشارف لبنان في طريقٍ اعتادها الاهلون منذ قرون عديدة فبارك بمسيره جهات البقاع التي حظينا بسكناها. وهي الطريق التي يسلكها الشاة والمكارون حتى يومنا ولم تمنع آثارَها سكّةُ العربات والسكّة الحديديّة فتراها تتحدّر على معاطف لبنان مارّةً في قريتي المريجات ومكسة حتى تبلغ سهل البقاع فتسير على جوار ارض تعنائل وتحدُّها جنوبًا كما جاء في الفرمان الشاهاني المعطى للدولة الفرنسويّة ثم تنير الى المرج وتقطع نهر الليطاني في عبرهِ عند قرية اسطبل ومنهُ تتّجه الى الجبل الشرقي

انّ القول بمرور السيّد المسيح في البقاع رأيٌ راجح لا يمكننا أن نقطع بصحّتهِ وانما يفيد المؤمنين تُقى وتعزيةً. وما لا يختلف فيهِ اثنان انّ هذه الجبال التي تُحدق بمعبد

السيدة هي جبال تكرَّر ذكرها في الاسفار المقدَّسة فينتصب من عن جنوبيّ جبل حرمون الذي يرتفع مع تابور لاسم الربّ (مز ٨٩ : ١٣) وعلى شماليّ جبل سنير او صنين وفي غربيّ جبل امانة وكلاهما قريب من ارض تغنائل . فكأنَّ سليمان الحكيم كان يسرّح بنظره في مشاهد هذه الجبال الثلاثة اذ كان يحرّر سفر نشيد الانشيد . والحق يقال أنهُ ليس من مكان اوفق لاستجلاء محاسنها فبعد ان اطرأ جمال عروسه الرمزيَّة بقوله (نش ٤ : ٧) : « كلكِ جميلة يا خليلتي ولا عيب فيك » اردف بقوله داعيًا لها الى العزّ والمجد : « هلمّي معي من لبنان فتُكلَّلي . . . انظري من رأس أمانة من رأس سنير وحرمون » . فكأنَّ النبيّ شبَّه طهر عروس الروح القدس بالتاج الغرّاء التي تكسو هذه الجبال وكأنَّ قمم هذه الاطواد تذكّرهُ بالآكام الدهريَّة التي يدعو اليها خليلتهُ لترتفع فوق السفليَّات والمساكن الارضيَّة فتُكلَّل بالمجد

تلك هي المراطن التي تلطَّفت ملكة السماء فاجتبتها لتتجلَّى لعبَّادها وتدرّ عليهم بدرايع نعمها تحت اسم سيدة التنزية في كنيسة بهيَّة خطيرة البناء شيَّدها منذ سنين قليلة احد رؤساء دير تغنائل فرسم هندستها بنفسهِ واهتمَّ ببنائها وابدع في نقشها وزينتها وبعد ان كان مَقام البتول في معبد صغير لا يكفي لعدد الزوَّار اضحى اليوم مزارًا لفئات من نصارى القرى المجاورة ومدنها كجلبك وزحلة يتناوبون في زيارة هذا المشهد الجليل بينهم الشيوخ والشبَّان . النساء والاحداث . الفقراء واهل الثروة يأتون الى معبد السيدة طورًا ليشكروها على نعمة اسبغت بها عليهم روحًا او جسمًا وطورًا يحجُّون اليها ليستمدُّوا بركاتها ويلتمسوا من فضلها عارفةً جديدة فتراهم يخرُّون ساجدين على اقدام السيدة مستحرّين بالصلاة امام صورتها العجائبيَّة التي انتهت الى جيتهم لتخصهم بكارمها بعد ان سكبت على بلاد غيرها سجال نعمها كما سترى في تاريخها الآتي

*

في اواسط القرن التاسع عشر كان الطيّب الذكر السيّد دوبرش (Mgr Dupuch) اوَّل اساقفة مدينة الجزائر عهد الى آباء الرهبانيَّة اليسوعيَّة إدارة مياتم اوشيَّته لانَّ الدولة الفرنسويَّة كانت قد استولت على تلك الاقطار فرأت أن افضل طريقة لاستعمارها ان يُرسل اليها اللقطاء والمتيتَّمون من احداث فرنسة ليتخرَّجوا منذ نعومة اظفارهم في اشغال الحراثة وضروب الصنائع حتى اذا بلغوا سنّ الشباب يقطعونهم

الإقطاعات فيقرون باعمال الزراعة والفلاحة وينتفعون بغلّات تلك الاراضي المهملة بدلًا من ان يعيشوا في فرنسة في الفقر واجتناء الجنايات . فاجاب الاسقف الجليل الى دعوة الحكومة الفرنسويّة ورأى في اليسوعيين قومًا اهلًا لهذا العمل محنّكين في اعمال التربية لا يسأمون من مشاقّها واتعابها ويتفانون في نجاحها فوكل اليهم تخريج اولئك اليتامى وتهذيبهم بالآداب فما خاب فيهم ظنّهُ

ومما عُني به رئيس الرهبان انّهُ ابتاع سنة ١٨٥٠ ارضًا واسعة الارجاء واقعة في املاك احدى القبائل المجاورة للجزائر تشبه كل الشبه ارض تعنائل قبل فلاحتها بكثرة مستنقعاتها وهوائها الوبيّ وما يغطّيها من القصب والاعشاب الباطلة حتى ظنّ كثيرون انها لا تصلح للزراعة وشكّوا في نجاح الرهبان وتحسين تلك البقاع بالفلاحة . غير انّ اليسوعيين كانوا رضعوا رجاءهم على الله فلم يستسلموا الى الفشل وباشروا بالعمل وغمّا عن العوائق التي كانت تحول دون عزيمتهم فلم تخب آمالهم

وكان بين الرهبان الذين دعاهم الرئيس الى تدبير الشغل اخٌ مساعد يُدعى فاڤيرو (Fr. Favero) اصلهُ من مقاطعة پيامنتي من اعمال ايطالية وكان اهل الثورة طردوهُ من ديره مع بقيّة اليسوعيين فجاء الى الجزائر لخدمة الرسالة . وكان المذكور رجلًا همامًا شديد العزم ثبت الجنان لا تثني همّتهُ الموانع فلبّى دعوة رؤسائهِ بكل طيبة خاطر لكنّهُ اشترط عليهم شرطين احدهما ان يسمحوا لهُ بأن يأتي من طورينو وطنهِ برسم صورة عجائبيّة كان متعبّدًا لها منذ حداثة سنّهِ تدعى سيدة التعزية . والآخر ان يُطلق على الارض التي حاولوا فلاحتها اسم « ارض التعزية » اشارةً الى صورة العذراء . فما كان من الرؤساء الّا ان اجابوا الى طلبتهِ بطيب الخاطر ومدحوا حُسن عبادتهِ

وان سألت ما اصل تلك الصورة ولاي سبب أُطلق عليها اسم سيدة التعزية فنجيب انّها مُكرَّمة في مدينة طورينو منذ القرون الوسطى فاشتهرت هناك بعجائبها التي زادت فيها ثقة المؤمنين فكانوا يقبلون اليها من نواحي ايطالية ليستشفعوا بها ويلتمسوا بركاتها . وممن اكرموا هذه الصورة الاكرام الخاصّ القدّيسان العظيمان كرلوس بوروماوس رئيس اساقفة ميلانو وفرنسيس دي سال اسقف جنيڤا . ولمّا عاد الحبر الاعظم بيوس السابع من منفاهُ في ساڤونة اراد أن يزور هذه الصورة المقدّسة ليشكر البتول على نجاتهِ من ايدي اعداء الكنيسة بمنوال عجيب.

فالاخ فاثيرو الذي كان رضع مع حليب امّهِ العبادة نحو البتول كثيراً ما كان يحثو في شبابهِ امام هذه الصورة فيجد في اكرامها قوّة وسلواناً فما انتقل الى الجزائر حتى فكّر في نشر العبادة نحو سيدة التعزية وكان لا يشك البتة في انّ العذراء الطاهرة تخصب تلك الاوض القفرة وتساعدهُ في تحويلها الى جنّة فيحاء.

فني شهر ايار من السنة ١٨٥١ وصلت الصورة المطلوبة من ايطاليا الى ميتم اليسوعيين في الجزائر. وكان الاخ المتعبّد لها اسرع فشيّد مشهداً صغيراً اصطنعهُ من لالواح وزيّنهُ على قدر استطاعتهِ واتّفق مع اخوته الرهبان والاولاد اليتامى واهل تلك النواحي بان ينقلوا الصورة الى المحلّ المختص بها في موكب عظيم ورونق بديع. فتمّت تلك الرتبة بكل آبهة وجُعلت الصورة في ذلك المشهد ريثما ينتهي بناء الكنيسة الجديدة التي نجز تشييدها بعد بضع سنوات

وما جلست البتول على منصّتها حتى اخذت تُفيض سيول النعم الروحيّة والمهات المادّيّة على كلّ سكّان تلك الانحاء. فكنت ترى كل يوم العدد الغفير من يتامى المستعين اللذين كانا هناك تحت نظارة الآباء اليسوعيين ومن اهل الجيرة والمستعمرين يقبلون الى معبد سيدة التعزية زرافات ووحداناً فتارةً يأتونها بطاقات الزهور وطوراً يزيّنون صورتها او يتلون امامها الورديّة ويسعون غاية جهدهم بان يستلفتوا انظارها ويكتسبوا بِنتها

والحقّ يقال انّ العذراء السيّدة لم تضنّ بمراحمها على اولئك البنين ولو اردنا ان نفصّل ذكر ألطاف البتول نحوهم لطال بنا الكلام. فمن ذلك انّ احد اليتامى وقع من عجلة تحت دواليبها ومرّت العجلة على ساقهِ فالتجأ الى العذراء التي كان اعتاد اكرامها وتزيين صورتها بالازهار. فقام دون ان يُصاب بأذى. وأُصيب آخر ببعض الدم حتى انّ الاطباء وجدوا حالتهُ مخطرة فحضّهُ الاخ فاثيرو على طلب الشفاء من سيدة التعزية وصلّى هو من اجلهِ فشفي تماماً بعد زمن قليل

وجمحت بغيرهِ فرسُ شموس فجرت بهِ الى نهر عميق ذي جسر متهدّم فقطعهُ سالماً وهو قاطن من النجاة فنسب خلاصهُ الى العذراء التي كان سلّم على صورتها قبل ركوبهِ

وسقط على احدهم حجرٌ كبير فرضّ ساقهُ ولم يجد الجرّاح وجهاً لشفائهِ بغير قطع الساق الّا انّ الشاب جعل يلقي بمقاليد امرهِ الى البتول فيتوسّل اليها بحرارة فما لبث ان نال بشفاعتها ما طلب منها فسلمت ساقهُ وشفي تماماً

وكانت الأُمهات خصوصاً اذا حلّ باولادهنّ مصاب يُسرعن الى معبد سيدة التعزية بكل ثقة وايمان فيَعُدْن الى بيوتهنّ ظافرات شاكرات حتى انهُ يرى على السنتهنّ كمثل « اذا أُصيب اولادنا بسوء نلتجئ الى سيدة التعزية. ونقدّم لاكرامها شمعة نوقدها أمام صورتها فلا تخيب آمالنا »

وليس في نيّتنا ان نثبت هنا صحّة تلك الكرامات المنقولة عن سيدة التعزية او ان نحكم حكماً قاطعاً بأنها من المعجزات الخارقة الطبيعة في حصر المعنى كما تفهمهُ الكنيسة الكاثوليكيّة لأنّ كثيراً منها يمكن تعليلهُ بالوسائل الطبيعيّة الّا انهُ لا يُنكَر كونها نعماً خاصّة جادت بها البتول نحو المتعبّدين اليها او ألهمتهم اياها لخيرهم

وقد رسخ الامر في قلوب العَمَة واهل تلك الجهات فضلًا عن اليتامى الذين تخرّجوا في ميتم الجزائر حتى انّهم ألفوا تلك العبادة بقيّة حياتهم

*

فهذه الصورة بقيت في الجزائر مكرّمة معظّمة ثلاثين سنةً وهي هي التي تُرَى اليوم في كنيسة تمنايل فتجدّد في البقاع آيات حبّها نحو الاهلين كما فعلت سابقاً في ارض افريقية

ففي السنة ١٨٨٠ لمّا اصدر جول فري الوزير الماسوني حكماً في تشتيت شمل الآباء اليسوعيين من فرنسة وملاحقاتها اضطرّ الرهبان ان يقفلوا ميتمهم في الجزائر ويطلقوا سبيل عدد وافر من اولئك المنكوبي الحظّ الذين كانوا يُعنون بتهذيبهم . وتفرّق الآباء في امكنة شتّى وكان بين الذين هاجروا الى بلاد الشام احد قدماء اليتامى ممّن تربّوا في الجزائر ثم انتظموا في سلك رهبانيتنا اليسوعية يدعى الأب كيرن (P. Kirn) فكان المذكور مغرماً بعبادة مريم العذراء مبالغاً في اكرام صورتها العجائبيّة المنصوبة في ميتم الجزائر . فلما بلغهُ امر رؤسائهِ بان يأتي الى بلاد الشام ويتقلّد رئاسة دير تمنائل كان اوّل فكرهِ بان يصحب معهُ صورة سيدة التعزية ليكرمها اهل لبنان كما اكرمها نصارى الجزائر . فبارك الرؤساء هذا الفكر الصالح ونقل الاب المذكور معهُ ذلك الكنز الثمين ليغني به جهات الشام

وكأني بشارف لبنان ومفاوز البقاع حيّت تلك العذراء عند قدومها الى تمنائل فتهلّلت بردّدة قول الحكيم : « هَلُمّي يا سلطانة من جبال أمانة وسنير وحرمون . .

هَلُمّي فتكلّلي بالمجد .. فتقيم لك عرضًا عن هيكل الجزائر مقامًا آخر اهلًا بجلالك ترتفع فيه أدعية المتعبدين لك في سهول البقاع الى سرّ عرشك. هَلُمّي يا أيّتها العذراء الملقّبة بارز لبنان فنشيد لك مشهدًا تحدق به اشجار الارز. وانت المدعوّة الوردة السرّيّة والزنبق بين الشوك سينتشر حول معبدك عرف الزهور العطرة وشذا الورد والسوسن .. وان كان اولادك يتامى الجزائر قد تفرّقوا ايدي سبأ فستجدين حولك فقراء وايتامًا غيرهم يلوذون بشفاعتك ويستترون تحت كنف حمائك فتقومين لهم مقام احنّ الأمّهات كما أنّهم يكرمونك اكرام أبرّ البنين »

وها قد مرّ اليوم على هذه الصورة ٣٠ سنة منذ حلّت بيننا كضيف كريم فسكنت اوّلًا في معبد صغير بسيط ثم استولت على مقامها الجديد. فلم يكد يمرّ عليها يوم واحد ولاسيما في ايّام الربيع والصيف دون ان يقدم عليها بعض الزوّار شاكرًا لها نعمتها او ذاكرًا لها بعض حاجاته الروحيّة او الزمنيّة. واذا وقع يوم ميلاد العذراء وهو يوم عيدها ازدحمت الجموع في كنيستها ثم أُخرجت صورتها المباركة في موكب مهيب تتقدّمها جماهير الزوّار بالنظام والتقى فتُحمل في وسط الغابات والاشجار بينما تتصاعد الى الجوّ اصوات الاناشيد الروحية وترتفع الى السماء أدعية القلوب الحارّة فتحظى بها على الاخصّ فئات اليتامى الذين يأوون الى بيتها المدعوّ لذلك بيتم سيدة التعزية

وهذه الصورة الجميلة هي كما قلنا سابقًا مرسومة عن الصورة الاصليّة التي تكرم في مدينة طورينو برخصة خاصّة من رؤساء كنيستها وقد اجتهد المصوّر ان يمثلها تمثيلًا دقيقًا كأنّها هي كما يشهد على ذلك رقيم الرؤساء المذكورين. لا بل سعى المصوّر في ان يزيد نظرها حنوًّا كأنّه نظر أعطف وأحبّ الأمّهات فانّ ذلك النظر في الصورة الاصلية يدلّ على لين وانعطاف اما صورة تعنائل فترى فيها عيني العذراء كعيني ابنها يسوع ايضًا ترشقان الناظر اليها بسهام نافذة الى قلبه فتجعلانه حيثما سار فهو نظر أمّ رحوم وسلطانة جليلة يجمع بين الحنوّ والمهابة فيحرّك كل عواطف النفس على مقتضى استعداد كل زائر فاذا شخص الرجل بنظره اليها لا يسأم من التأمّل في محاسنها. وقد روت اخبار الجزائر انّ كثيرين من زوّار مياتم الجزائر كانوا يمرّون بازائها ولا يعيرونها بالًا فاذا رأوا الاحداث يجثون امامها ويحيونها بالسلام ويبتسمون بنظرهم اليها تحرّكت شواعرهم وتغيّرت افكارهم وانابوا الى الله بعد أن اهملوا خدمته فجثوا هم ايضًا امام الصورة تائبين

صورة

سيدة التعزية

في تمثال

مستطفين . واخبر احد المستعمرين انّ نظر البتول أثّر فيهم تأثيرًا عظيمًا وبعد ان سعى بان يُصلّب قلبهُ ويقهر عواطفهُ لم يتمالك من ان يقرّ بذنوبه الى كاهن وتاب توبة نصوحًا . وقد اراد بعضهم ان يصف هذا النظر العجيب فنعتهُ «بنظر الام» وكُتب ذلك في ذيل الصورة

والحق يقال انّ سيدة التعزية منذ شرّفت البقاع اعربت عن حُبّ امّ عطوف فتحت لسكان هذه الجهات افلاذ اكبادها وجادت بنعمها على كل طالبيها . ولقد عرف الاهلون سريعًا كرمها الفائض فاخذوا يتردّدون الى هيكلها ويقدّمون لها التضرّعات ويوقدون الشموع امامها ويتناقلون ذكر النعم التي نالوها من مراحمها . فكم من مرّة سمعناهم يقصّون علينا اخبارهم العجيبة فهذا يخبر بان ولدهُ عوفي من مرض ثقيل بشفاعتها وذاك يؤكد بانّ ابنهُ الاخرس نطق بعد ان زار معبدها . وغيرهُ يُعلن بان مواشيهُ كانت ضحيّة داء عضال فنجت منهُ بعد ان نذر نذرًا لسيّدة التعزية . وآخرون ينسبون اليها سلامة غلّاتهم من الآفات وبيوتهم من العدوى . ولو لم نظفر على شاهد آخر يثبت صحّة اقوالهم غير وفرة زوّار المعبد لكفى بذلك دليلًا قاطعًا نظرنا عيانًا بتمامها بل قُرًى كاملة قصدت كنيسة السيدة سائرةً اليها من البقاع وزحلة وبعلبك . وكم رأينا نساء نحيفات الجسم بل كريّات الاصل أتين حافيات طاويات من امكنة بعيدة ليقمن بنذورهنّ عند هيكل العذراء بعد ان فزن برغائبهنّ .

ومما خُصّ به هذا المزار التقوي انّ مرقدهُ في مكان قفر معتزل عن الضوضاء والجلبة فاذا اتاهُ الزائر شعر في صميم قلبه بعواطف التُقى والسلام على خلاف بعض المزارات التي تصبح في ايام اعيادها اشبه بأسواق حافلة تتجمهر فيها الجماهير فيطلقون البندقيّات ويقيمون الالعاب والمراقص ويتغنّون بالاغاني العشقيّة ويشربون المسكرات فتلعب الخمرة بالرؤوس وتجري بين الجموع المشاجرات والخصومات التي تستدعي مداخلة الحكومة وتوقيف الجناة . فهذا ما نراهُ في بعض قرى لبنان في ايام الاعياد المختصّة بذكر السيدة واولياء الله . فبيهات ان تجد شيئًا من ذلك في تعنائل فانّ كل شيء يتمّ هناك بنظام وتقى ولا يأتي الزوّار الّا لغاية صالحة ولا نستثني من ذلك يوم عيد السيدة فانه مع وفرة القادمين الى حضور العيد وتباين مللهم وطوائفهم تجدهم جميعًا قلبًا واحدًا ونفسًا واحدة لا يقصدون سوى اكرام البتول بكل ورع وعبادة فيمشون بالترتيب

خاشعين ساكتين لا يسمع بينهم الّا صوت الصلاة والتضرع او الترانيم التقوية واذا بلغوا الى وسط الغابة حيث تُنصب صورة العذراء يقفون حولها فيسمعون عظة يلقيها عليهم احد الخطباء في معنى العيد ثم يمنحهم بركة الصورة فيعودون ادراجهم بالنظام ثم ترفضّ جموعهم وكلهم ألسنة ناطقة بحسن الرتبة وتقاها وشكر العذراء ومدح معبدها

ونحن نختم هذه الاسطر رافعين الى مقام سيدة التعزية اكفّ الضراعة فنطلب من شفقتها ان تملك على قلوب سكّان هذه السهول وتبارك اعمالهم وتشمل بنظرها خصوصاً ميتم تمثائل واولاده وتصونهم نفساً وجسماً من كل الآفات وتبلّغهم بعد المعيشة الصالحة الى دار البقاء حيث يشكرون فضلها نحوهم ويشاركونها بالافراح السرمديّة

المجامع والدواوين والدوائر الرومانيّة

للاب لويس معلوف اليسوعي (نقلاً عن البشير)

ان قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر المالك سعيداً برسالته التي بدؤها «Sapienti consilio» الصادرة بتاريخ ٢٩ حزيران سنة ١٩٠٨ ادخل بعض الاصلاحات على المجامع الرومانية المؤلفة منذ عهد سيكستوس الخامس واضاف اليها غيرها وفصل الدوائر الاداريّة عن القضائيّة وجدّد لهذه الاخيرة ديوان الروتا (Rote) الذي يعلوه لبعض الامور ديوان التوقيع (Signature) العالي وهو بمنزلة ديوان التمييز

وقد رأينا ان نلخّص لفائدة القرّاء اختصاصات هذه المجامع والدواوين بحسب النظام الجديد

١ مجمع التفتيش

S. Cong. du Saint Office.

يرأس مجمع التفتيش قداسة الحبر الاعظم نفسه. امّا اختصاصات هذا المجمع فهي المحافظة على كل ما يتعلق بالايمان والآداب فلهُ وحدهُ ان يحكم في امر الهرطقات ومتعلقات البدع وهو دون غيره يهتمّ بامر الغفرانات وشروطها سواء كان من الوجهة النظريّة او العمليّة

ثم انهُ وان كان للاسرار مجمع خاصّ فيظلّ لمجمع التفتيش مع ذلك مل